الرسالة

(رومية ١٥: ١–٧)

يا إخوةُ يجبُ علينا نحنُ الأقوياءَ أن نحتَمِلَ وَهَن الضُّعَفاء ولا نُرضِي أنفسَنا* فليُرضِ كلُّ واحدٍ منَّا قريبَهُ للخيرِ لأجلِ البُنيان* فإنَّ المسيحَ لم يُرضِ نفسَهُ ولكن كما كُتِبَ تعييراتُ معيّريكَ وقَعت عليَّ* لأنَّ كلَّ ما كُتبَ من قبلُ إنَّما كُتبَ لتعليمنا ليكونَ لنا الرجاءُ بالصبرِ وبتعزيةِ الكُتب* وليُعطِكم إلهُ الصبرِ والتعزيةِ أن تكونوا متَّفقي الآراءِ فيما بينَكم بحسَبِ المسيحِ يسوع* حتَّى إنَّكم بنفسٍ واحدةٍ وفمٍ واحدٍ تمجِّدونَ اللهَ أبا ربِّنا يسوعَ المسيح* من أجلِ ذلك فليتَّخذْ بعضُكم بعضًا كما اتَّخذكم المسيحُ لمجدِ الله.

الإنجيل

(متى ٩: ٢٧–٣٥)

في ذلكِ الزمانِ فيما يسوعُ مجتازٌ تبعهُ أعميان يَصيحان ويقولان ارحمنا يا ابنَ داود* فلمَّا دخلَ البيتَ دنا إليهِ الأعميان فقال لهما يسوعُ هل تؤمنانِ أنّي أقدِرُ أن أفعلَ ذلك. فقالا لهُ نعم يا ربُّ*

النور غير المخلوق

لقد وُضعت نصوص العهد القديم التي تتلى غروب عيد التجلي لتكون مدخل المؤمنين إلى فهم السر الخلاصي المعتلن في ظهور الرب يسوع بمجده الإلهي على الجبل. القراءة الأولى المختارة من سفر الخروج (٢٤:١٢–١٨) تروي إقامة موسى أربعين يومًا على جبل سيناء وهي المدخل الأول. فموسى هو أحد نبيي العهد القديم الظاهرين بقرب يسوع في تجلّيه، وهناك صعود موسى إلى الجبل لمعاينة مجد الله، في إزائية مع ظهور مجد يسوع الإلهي على جبل ثابور. أما الفرق بين الإعلانين فيكمن في ان الله في الإعلان الأول يعطي الناموس لموسى مكتوبًا على ألواح حجرية، وفي الثاني يكشف ملء المجد الكامن في ابنه الوحيد، الكلمة المتجسد. النور الذي شع من جسد الرب يسوع هو علامة المجد الإلهي المعطى لطبيعتنا البشرية، متى تنقت من شوائبها وتألّهت. هذا هو النور نفسه الذي تألقت به أجساد القديسين وهم في الصلاة والتأمل مقيمون.

في أواسط القرن الرابع برزت تباينات لاهوتية في الشرق المسيحي حول طبيعة نور التجلّي بين مدافعين عن عقيدة اشتراك الإنسان في المجد الإلهي بالنعمة، وبين لاهوتيين متأثرين بتيارات غربية كانت تقول باستحالة مثل هذا الإشتراك. خطورة هذه التباينات في أنها كانت تطاول مسألة إيمانية بالغة العمق هي حقيقة الاختبار الروحاني الشخصي وطبيعة النعمة من حيث أنها عطية من عطايا الله المخلوقة، أو قبس من صلب مجده غير المخلوق. أي أن تألّه الإنسان وعودته إلى ما كان عليه قبل السقوط، وهذه غايته المنشودة، هو ما كان مطروحًا في مواجهة بين اللاهوت الصوفي المبني على عيش النعمة كيانياً وبين الفلسفة الدينية المبنيَّة على نقض كل ما لم يكن بحسب المنطق البشري معقولاً.

في روحانيتنا الأرثوذكسية أن هذا النور (أو الإستنارة) هو الطابع المنظور للألوهة، أو للنعمة التي يكشف الله بها عن نفسه. إنه ليس نورًا بالمعنى الذي يستعار لاستنارة الفكر أو العقل البشري بالمعارف أو العلوم، وهو ليس نورًا بالمعنى الحسي أو المادي للكلمة. إنه نور يُفعم العقل

العدد ٢٠٠٣/٣١

الأحد ٣ آب

تذكار آبائنا الأبرار إسحاقيوس وذلماتس وفقستس

اللحن السادس

إنجيل السَحَر السابع

والحواس معًا، أي إنه يملأ كيان الإنسان وليس واحدة أو أكثر من خاصياته. النور الإلهي هو معطى من معطيات الخبرة الروحية الشخصية، خبرة الإلفة الصوفية مع الله، ولذلك فهو يتجاوز العقل والحواس معًا. معظم الآباء الذين تأملوا في سر التجلي أكّدوا على الطبيعة غير المخلوقة، الإلهية، للنور الظاهر على ثابور. النور الذي عاينه التلاميذ هو من الله بطبيعته، وهو أزلي ولا تحدّه أبعاد الزمان والمكان،وهو نفسه الظاهر كمجد الله في العهد القديم. بيد أن ظهورات النور في العهد القديم كانت ترعب الإنسان لأنها كانت غير مألوفة للطبيعة البشريَّة قبل المسيح، وقبل الحياة المستمرة فيه بالكنيسة. عن هذا يقول القديس سمعان اللاهوتي الحديث إن الرسول بولس على الطريق إلى دمشق أعماه النور الإلهي لأنه لم يكن قد آمن بالمسيح بعد (أع ٩:٣–٨).ويقول القديس غريغوريوس بالاماس إن مريم المجدلية، وخلافًا لبولس، أعطي لها أن تعاين نور القيامة المالئ القبر وأن تبصر ما كان بداخله بالرغم من أن نور النهار لم يكن قد أشرق بعد. وقد مكّنها النور أيضًا من أن تبصر الملاكين وأن تتحادث معهما (يو ٢٠: ١١–١٣). في عقيدتنا أنه بتجسد الكلمة الإبن الوحيد «تجمّع» النور الإلهي إذا جاز التعبير في المسيح، الإله الإنسان، الذي فيه حلّ جسدانيًا ملء الألوهة. أي إن طبيعة يسوع البشريَّة تألّهت باتحادها الأقنومي بالطبيعة الإلهية، وهذا يعني أن المسيح تلألأ بالنور الإلهي طيلة حياته العلنية على الأرض ولو أن هذا النور بقي محجوبًا عن أعين غالبية الناس. التجلي إذًا لم يكن حدثًا محصورًا في مكان وزمان معيّنين، ولم يتغيّر شيء في المسيح آنذاك، ولا حتى على مستوى طبيعته البشريَّة. ما تغيّر هو إدراك التلاميذ الثلاثة الذين أُعطي لهم أن يعاينوا لوقت ما سيدهم كما هو، مشرقًا بنور ألوهيته الأزلي. ما حدث للرسل عندها كان خروجًا من زمانهم الحاضر وإدراكًا لحقائق الدهر الآتي. القديسون الذين أوتوا معاينة النور الإلهي كانوا منذ وجودهم على الأرض في تذوق لحياة الملكوت، التي هي معرفة الله بنعمة روحه القدوس. يقول أبونا المغبوط صوفروني ساخاروف في كتابه «معاينة الله كما هو» (منشورات النور): «من اللحظة التي استنار فيها التلاميذ بهذا النور دخل في تاريخ عالمنا الأرضي وصار إرثًا من جيل إلى جيل للذين يؤمنون بالمسيح الإله. ولولا هذا النور لبقيت الأرض محرومة من معرفة الله الحقيقية».

قلنا إن التجلي لم يكن حدثًا محصورًا في زمان ومكان معيّنين. وإذا كان المسيح ما زال حيًا في كنيسته فهذا يعني أن معاينة النور الثابوري ممكنة لأبناء بيت الله في كل زمان ومكان. هذا ما تعلّمنا إياه الكنيسة، وهي تعلّمنا أيضًا السبيل إليه. إن معاينة النور الإلهي بأعين الجسد تقتضي اشتراكنا كيانيًا في هذا النور. فالخبرة الروحية (Expérience mystique) تفترض تغييرًا لطبيعتنا بالنعمة الإلهية، أي تنقية هذه الطبيعة من الشوائب الأرضية العالقة بها. الطبيعة البشريَّة المنقاة بالجهادات الروحية تسترد شفافيتها الأولى فيعبر فيها النور كما في بلور نقي. للقديس غريغوريوس بالاماس في هذا وصف صريح إذ يقول إن المشارك في هذه الطاقة الإلهية يصير بشكل من الأشكال نورًا. فهو يتحد بالنور وبهذا النور يعاين ما كان عن الكثيرين محجوبًا. فهو لا يتجاوز حواسه حينئذٍ لمس أعينَهما قائلاً كإيمانِكما فليكُنْ لَكما. فانفتحت أعينُهما. فانتهرهما يسوعُ قائلاً أنظرا لا يَعلم أحدٌ* فلمَّا خرجا شَهَراهُ في تلكَ الأرضِ كلِّها* وبعد خروجِهما قدَّموا إليهِ أخرَسَ به شيطانٌ* فلمَّا أُخرِجَ الشيطانُ تكلَّمَ الأخرسُ. فتعجَّبَ الجموعُ قائلين لم يَظْهَرْ قطُّ مِثْلُ هذا في إسرائيل* أمَّا الفريسيون فقالوا إنَّهُ برئيسِ الشياطينِ يُخرجُ الشياطينَ* وكانَ يسوعُ يطوفُ المُدنَ كلَّها والقرى يعلِّمُ في مجامعهم ويكرزُ ببشارةِ الملكوتِ ويَشْفي كلَّ مَرَضٍ وكُلَّ ضُعفٍ في الشعب.

تأمل

«وبعد خروجهما قدّموا إليه أخرَسَ به شيطانٌ. فلمّا أُخرِجَ الشيطانُ تكلَّم الأخرس (متى٩:٣٢). لم يكن مرضه طبيعيًا بل كان ناتجًا عن تأثير شيطاني شديد. لذلك كان يحتاج إلى مَنْ يقوده إلى يسوع. ولم يستطع طبعًا وحده أن يتوسّل إلى الرب لأنه كان أخرس ولا أن يطلب من الآخرين لأن الشيطان يربط لسانه ومع لسانه نفسَه. لذلك لم يطلب الرب إيمانًا منه بل بادر إلى شفائه لذلك قال الإنجيلي: «فلما أُخرج الشيطان تكلَّمَ الأخرسُ. فتعجَّب الجموعُ قائلينَ لم يظهر قط مثل هذا في إسرائيل» (متى ٩:٣٣).

هذا ما أزعج طبعًا الفريسيين لأن الجموع أبرزت يسوع أعلى من الكلّ، ليس فقط أعلى من الذين كانوا يعيشون آنذاك بل أيضًا من الذين عاشوا قبلاً. أبرزوه أعلى من الآخرين لأنه كان يشفي بسهولة ومباشرةً من أمراض كثيرة وصعبة. فأظهر الشعبُ إعجابه.

أما الفريسيون فأخذوا يتصرفون بطريقة معاكسة لأنهم لم يكتفوا بإدانة كل ما كان يجري أمامهم من عجائب بل أيضاً لم يخجلوا من تشويه وتزوير مقولات الشعب فقالوا «برئيس الشياطين يخرج الشياطين». ما الذي يمكن أن يكون أكثر جهلاً من هذا؟ لأنه من المستحيل، كما يقول يسوع لاحقًا، على الشيطان أن يُخرج الشيطان لأن هذا الأخير عادة يحافظ على نفسه ولا يدمّرها. بينما المسيح لا يُخرج فقط الشياطين بل ويُنقّي البرص، يُنهض الأموات، يُهدّئ البحر، يغفر الخطايا، يكرز بملكوت السموات ويقود الناس إلى الآب، الأمور التي لا تستطيع الشياطين أبدًا أن تفعلها. الشياطين تقود الناس إلى عبادة الأصنام، تبعدهم عن الله، تقنعهم أن لا يؤمنوا بالحياة الآتية. الشيطان عندما يُشتم لا يُحسن طالما انه وبدون شتيمة يؤذي الذين يؤمنون به. الرب يفعل العكس. لأنه بعد كل الشتائم يأتي الإنجيلي

الجسدية وحسب بل طاقاته الفكرية والعقلية أيضًا ليدرك ما لا يقوى على إدراكه أي عقل أو فكر. ذلك أن أنقياء القلوب يعاينون الله، والله الذي هو نور يسكن فيهم ويكشف ذاته لهم.

ختامًا نشير إلى أن الأرثوذكسية تشدِّد بحزم على اشتراك الجسد في عيش الخبرة الصوفية. ذلك أن صفة «إنسان» لا تنطبق على الروح وعلى الجسد كل على حدة، بل عليهما مجتمعين، وهو الإنسان بكليته الذي خُلق على صورة الله ومثاله، على حد تعبير بالاماس. إذًا فالجسد يساهم أيضًا في جهادات التنقية حتى يصير «جسدًا روحيًّا»، لأن غايتنا ليست أن نتأمل في الله عقليًا. المتنقّون من شوائب أرضيتهم يعاينون الله في ملء طبيعتهم المخلوقة، وفي الدهر الحاضر على قدر ما تسمح به النعمة. إذا كنا نؤمن أن لأجساد الأبرار نصيبًا مع أرواحهم في القيامة الصالحة، فنحن نؤمن أيضًا أن المؤمن الذي يقتني لنفسه النقاوة يقتنيها لجسده أيضًا، واشتراكه في النور غير المخلوق يكون كيانيًا، أي بالنفس والجسد معًا. هؤلاء متى كانوا ملتصقين بالمسيح، ومنذ هذه الأرض، يعاينون المجد المعطى له من الآب، وهو ما التمسه لهم المسيح نفسه في صلاته الأخيرة (يو ٢٤:١٧).

النور (تابع)

«في البَدْءِ كانَ الكَلِمَةُ والكَلِمَةُ كانَ عِنْدَ اللهِ وكانَ الكَلِمَةُ اللهَ... فيهِ كانتِ الحياةُ والحياةُ كانتْ نورَ النَّاس، والنُّورُ يُضيءُ في الظُلمَةِ والظُّلْمَةُ لم تُدْرِكْهُ» (يو ١: ١–٥).

قلنا في العدد السابق ان النور الحسي مرادف للحياة وكل ما يحيط بحياة الإنسان، ومضاد للظلمة والموت والدمار. اليوم سنركز على رمزية النور الروحية في الكتاب المقدَّس.

أحد معاني النور انه يرمز إلى الصلاح والبركة ويناقض الشر. الرب يسوع يقول «كُل مَنْ يَعْمَلُ السيئاتِ يُبْغِضُ النُّورَ ولا يأتي إلى النورِ لِئَلاَّ تُوبَّخَ أعمالُهُ» (يو٣:٢٠) وفاعلو الشر هم «المتمردون على النور،لا يعرفون طرقه ولا يلبثون في سُبُلِه» (أي ٢٣:٢٤). اجتماعيًا، الحاكم الصالح هو كالنور: «إذا تسلَّطَ على الناسِ بارٌّ يتسلَّطُ بخوفِ اللهِ، وكنورِ الصباحِ إذا أشرقتِ الشَّمسُ. كعُشبٍ مِن الأرضِ في صباحٍ صَحْوٍ مُضيءٍ غِبَّ المَطَرِ» (٢صمو ٢٣: ٣و٤).

النور أيضًا مرادف للقداسة والقديسين. يحذر الرسول بولس مؤمني روميه قائلاً: «قد تناهى اللَّيلُ وتقارَبَ النَّهَارُ فلنَخْلَعْ أعمَالَ الظُّلمَةِ ونَلْبَسْ أسلِحَةَ النُّورِ» (رو ١٣: ١٢). المسيحيون مدعوون إلى القداسة، أن يكونوا «بُسطاءَ أولادًا للهِ بِلا عَيبٍ في وَسَطِ جيلٍ معوّجٍ ومُلْتَوٍ تُضيئُون بينهم كأنوارٍ في العالم» (في ٢:١٥). «أمَّا سَبيلُ الصِّدِّيقينَ فكنورٍ مُشرقٍ يتزايَدُ ويُنيرُ إلى النهارِ الكامِلِ، أمَّا طريقُ الأشرارِ فكالظلامِ» (أمثال ٤: ١٨و١٩).

صورة النور ملازمة للحق ومناقضة للجهل والغباوة والخطأ: «أمَّا مَنْ يَفْعَلُ الحقَّ فيُقْبِلُ إلى النورِ لكي تظهرَ أعمالُهُ أنَّها باللهِ معمولةٌ» (يو ٣:٢١). شريعة الله التي هي الحق، هي النور الذي ينير كل إنسان في الكون: «سِراجٌ لِرجلي كلامُكَ ونورٌ لسَبيلي... فَتْحُ كلامِكَ يُنيرُ عَقلَ الجُهَّالِ» (مز ١١٩: ١٠٥ و١٣٠).

إذا كان النور ملازمًا للحق والقداسة والصلاح والبركة فلا عجب أن يقول الرب يسوع «أنا هو نورُ العالَم» (يو ١٢:٨)، لأنه هو الفائق القداسة والصلاح، هو «الطريق والحق والحياة»، هو النور. الله نور: «إنَّ اللهَ نورٌ وليسَ فيهِ ظلمَةٌ البتَّةَ» (١يو١:

٥)،هو «أبو الأنوار» (١٧:١)، ومصدر كل نور وخالق النور، وهو الساكن في النور: «الذي وحدَهُ لهُ عَدَمُ الموتِ ساكِنًا في نورٍ لا يُدنى منه» (١تيمو ١٦:٦).

إذا كان الله الثالوث هو النور، عندها يصبح النور الرمز الطبيعي للخلاص وللحياة الجديدة: «الربُّ نوري وخلاصي مِمَّن أخاف» (مز ١:٢٧). يقول الرب يسوع انه جاء «نورًا إلى العالمِ حتى كلُّ من يؤمنُ بي لا يمكث في الظلمةِ» (يو ٤٦:١٢). لقد جاء الرب يسوع لكي يدعونا «من الظلمةِ إلى نورهِ العجيب» (١بط ٢: ٩).لقد «أنقذَنا من سلطانِ الظلمةِ ونقلنا إلى ملكوتِ ابن محبَّته... وأهّلنا لشركةِ ميراثِ القديسينَ في النورِ» (كو ١: ١٢و١٣).

كلُّ واحدٍ منا اعتمد على اسم الثالوث المقدس، وكل منا نال نعمة الروح القدس الذي هو نور وحق. وكما انه لا يمكن أن يخفى النور أو السراج، هكذا الإنسان المؤمن لا يمكنه أن يخفي نوره بل يجب أن يكون نورًا لغيره وسراجًا ينير درب الكثيرين في مسيرتهم نحو الله. كيف؟ بالأعمال الصالحة: «أنتم نورُ العالمِ... فليُضئ نوركم قدَّام الناسِ لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجِدوا أباكم الذي في السموات» (متى ٥: ١٤–١٦).جماعة المسيح هي جماعة تعكس نور المسيح حولها، وبقدر ما تعكس نوره تكون بالفعل شاهدة له. المسيح شهد للحق ودافع عن المظلوم وأطعم الجياع وشفى المرضى وعلم الصلاح وعمل بحسب الشريعة وأحب الخطأة والصالحين. هل نحن على صورته ومثاله؟

عيد التجلي

بمناسبة تذكار تجلّي ربنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الأربعاء ٦ آب ٢٠٠٣ في كنيسة دير القديس جاورجيوس - سوق الغرب.

بلغاريا

للمرة الأولى في التاريخ الحديث لكنيسة بلغاريا الأرثوذكسية أُقيمت القداديس وارتفعت الصلوات في كافة كنائس بلغاريا في العاشر من تموز ٢٠٠٣ لراحة نفس كل الأساقفة والكهنة والعلمانيين والعلمانيات وكل من كان ضحية النظام الشيوعي في بلغاريا بين عامي ١٩٤٤ و١٩٨٩. ويُعتبر هذا التاريخ تذكارًا سنويًا أدخله مجمع الكنيسة البلغارية المقدَّس في تشرين الأول ٢٠٠٢.

كوريا الشمالية

قام وفد كنسي روسي برئاسة نائب رئيس دائرة العلاقات الخارجية في بطريركية موسكو وكل الروسيا المطران Clément بزيارة كوريا الشمالية حيث شارك في وضع حجر الأساس لأول كنيسة أرثوذكسية في العاصمة بيونغ يانغ. سوف تُبنى الكنيسة الجديدة على اسم الثالوث المقدَّس ومساحتها ثلاثماية متر مربع وسوف تعلوها قبّتان. تبنى الكنيسة بأموال المؤمنين تحت إشراف الجمعية الأرثوذكسية لاتحاد مؤمني كوريا، وسوف تقدّم الكنيسة الروسية الأجراس والخبرات التقنية لبناء القبتين.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

ويقول:«وكان يسوعُ يطوفُ المُدنَ كلَّها والقرى يعلّم في مجامعِهم، ويكرزُ ببشارةِ الملكوتِ ويَشْفي كلَّ مَرَضٍ وكلَّ ضُعفٍ في الشعب» (متى ٣٥:٩).هكذا فإنه لا يعاقب الفريسيين بسبب عدم إحساسهم ولا يوّبخهم بل على العكس أبرز وداعته وعن طريقها أنّب إدانة الفرّيسيين. كان يحاول عن طريق العجائب أن يبرهن أكثر عن ذلك. هكذا سوف ينتهي في الأخير إلى توبيخهم عن طريق أقواله.

وكان يطوف المدن والقرى والمجامع معلّمًا إيانا أن نكافئ بهذه الطريقة الذين ينتقدوننا لا بانتقادات مماثلة بل بإحسانات أكبر. لأنه إن أحسنت لغيرك لا تفتيشًا عن الشهرة بل لمجد الله أنت تستمرّ في العمل هذا مهما ظهر منهم حتى تجني مكافأة أكبر. لأن الذي يتوقف عن الإحسان بعد أن ينتقده الآخرون يدلّ على انه يحسن لا لمجد الله بل طلبًا لمديح الناس. هكذا فإن المسيح يريد أن يعلّمنا أن نعمل انطلاقًا من حسن النية في عمل الخير. لذلك لم ينتظر أن يأتي إليه المرضى بل كان يبادر إليهم مانحًا إيّاهم خيرات كبيرة مزدوجة: أوّلاً إنجيل ملكوت السموات أي البشرى السارة وثانيًا شفاء كل الأمراض. ولم يوفّر أيّة مدينة أو قرية بل كان يزور كل مكان.

القديس يوحنا الذهبي الفم